شرح

نظم شروط لا إله إلا الله

للعلامة زيد المدخلي رحمه الله

شرحها الشيخ :

مصطفى مبرم

حفظه الله تعالى

تفريغ إدارة حساب :

فوائد ش/مصطفى مبرم

Fawaidmbrm

الفهرس

رُكنَا لاَ إِلَهَ إِلَّا الله 3
مَعْنَى لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله 8
شُرُوطُ لاَ إِلَهَ إِلَّا الله 11
الشَّرط الأوَّل: العِلم 13
الشَّرط الثَّاني: اليقين 18
الشَّرط الثَّالث: الإخلاص 23
الشَّرطُ الرَّابع: الصِّدق 30
الشَّرطُ الخامِس: الانقياد 35
الشَّرط السَّادِس: القبُول 39
الشَّرط السَّابع: المحَبَّة 43
الشَّرطُ الثَّامن: الكفر بما يعبد من دون الله 46
خَاتِمة 48

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الشَّيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذكر في هذا النَّظم ثلاث مسائل فأُعيد قراءة الأبيات لأنَّ الإخوة في الغُرفة يُشاركوننا -جزاهم الله خيرًا-[1].

يقولُ ٱلشَّيخ زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لِكِلْمَةِ الْإِخْلَاصِ رُكْنَانِ هُمَا ۞ النَّفْي وَالْإِثْبَاتُ فَاحْفَظَنْهمَا
وَلَهَا معْنى عَظِيمٌ قَدْ سَما ۞ بَيَّنهُ ربّي تعَالَى فِي السَّما
شُرُوطُهَا بِالنَّصِّ قُلْ ثَمَانِيَه ۞ الْعِلْمُ وَالْيَقِينُ إِخْلَاصُ النِّيَهْ
رَابِعُهَا الصِّدْقُ يَلِيهِ الْخَامسُ ۞ هُوَ انْقِيَاد وَالْقَبُولُ السَّادسُ
وَالسَّابِعُ الْحُبُّ لِمَا لَهُ حَوَتْ ۞ مِنَ الْمَعَانِي فَاعْمَلَن بِمَا ثَبت
وَالثَّامِنَ الْبُغْضُ لِما يُعْبَد من ۞ دُونِ الْإلَهِ فَاعْقِلَنهَا يا فِطَن

هذه هي الأبيات الَّتي نظم فيها الشَّيخ العلاَّمة زيد المدخلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أركان لا إله إلَّا الله وشروطها ومعناها، فنشرحها بيتًا بيتًا على مُقتضى ما ذكره الشَّيخ.

[1] مقدِّمة الدرس غير موجودة في التَّسجيل الصَّوتي.

۞ رُكْنَا لاَ إِلَهَ إِلَّا الله ۞

فالمسألة الأولى الَّتي ذكرها الشَّيخ هي مسألة: الأركان -أو رُكني لا إله إلَّا الله-.

فقال:[لِكِلْمَةِ الإِخْلَاصِ] فهذه الكلمة كما هو معلوم يُراد بها الجُملة لا الاسم المفرد كما هو اصطلاح النُّحاة.

و [الإِخْلاصِ] مأخوذٌ من خَلص الشَّيء إذا نقَّاه وصفَّاه.

وسُمِّيت هذه الكلمة بـ «كلمة الإخلاص» لأنَّه لا خلاص في الدُّنيا ولا في الآخرة لصاحبها أو لأحدٍ منَ النَّاس إلَّا بها، فهيَ الَّتي تُخلِّصه من أدران الشِّرك في هذه الدُّنيا وهي الَّتي تُخلِّصه من عذاب الله تعالى في الآخرة.

وقوله هنا:[رُكْنَانِ] الرُّكن هو جانبُ الشَّيء الأقوى وماهيَّته؛ وقوله:[هُمَا] أرادَ الرُّكنين، أعاد الضَّمير [...][2].

[النَّفْيُ] نفي ما يُخالف هذه الكلمة ويُنافي الإخلاص.

[2] انقطاع يسير في الصَّوت

و[الإثْبَات] أي إثبات ما تقتضيه هذه الكلمة.

[فَاحْفَظَنْهمَا] لأنَّ الحِفظ هو سبيل العلم، فإذَا حفظ الإنسان عَلِم.

عِلْمِــي مَعِــي حيثُما يَمَّمـتُ يَصْحبنـي
قَلْبِــي وِعَــاءٌ لــهُ لَا بَطْــنُ صُنْــدُوقِ

إنْ كنتُ فِي البيْت كانَ العلم فِيه معي
أو كنتُ فِي السُّوقِ كان العلْم فِي السُّوقِ

فَإِن تَحْرِقوا القِرْطاسَ لاَ تَحرقوا الَّذِي
تَضمَّنه القِرطاس بَل هُو فِي صدرِي

يسِيرُ مَعـي حيــثُ اسْتَقَلَّـت ركَائِبـي
وَيَنزل إِن أَنْزِل وَيدفنُ فِـي قَبْـرِي

إلى آخر ما قاله أبو مُحمَّد ابن حزم؛ والبيتان الأوَّلان للإمام الشَّافعي.

وقد خرَّج مُسلم في صحيحه من حديث أبي زيد عمرو بن أخطب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّه لـمَّا ذكر الحدِيث الطَّويل الَّذي حدَّثهم به النَّبي ﷺ، قال: «فَأَعْلَمُنَا أَحْفَظُنَا»[3].

وفي هذا البيت ذكر الشَّيخ رَحِمَهُ اللهُ ركنَيْ «لا إله إلَّا الله» وهذان الرُّكنان هُما: النَّفي والإثبات، لأنَّ «لا» النَّافية -كما سيأتي معنا في الكلام على معنى لا إله إلَّا الله- هذه سُلِّطت على نكرة، «لا» النَّاهية سُلِّطت على نكرة:

وَالنَّكِرَاتُ فِي سِيَاقِ النَّفْيِ   تُعْطِي الْعُمُومَ أَوْ سِيَاقِ النَّهْيِ

فكلُّ نكرة دخل عليها «لا» النَّافية أو «لا» النَّاهية فإنَّها تُفيد العموم، فعمَّت جميع النَّفي، بمعنى أنَّها نفت كلَّ شيء، بل قال بعض النَّحويين بأنَّ تقدير الكلام «لا من إله» ليكون هذا العموم مستغرقًا لدخول «مِن» عليه؛ فأفادنا قوله:«لا إله» النَّفي، بمعنى أنَّها نفت كلَّ إله دون الله -تبارك وتعالى-؛ وقوله:«إلَّا الله» هذا إثباتٌ للإلهيَّة لله -جلَّ وعلاَ- ولا يصحّ النَّفي إلَّا بالإثبات، ولا يصح الإثبات إلَّا بالنَّفي، فلا تقع هذه الكلمة موقعها من صاحبها إلَّا إذا أثبت الإلهيَّة لله تعالى ونفاها مُطلقًا عن كلِّ ما سوى الله -جلَّ وعلاَّ-.

❀ وقد دلَّ على هذين الرُّكنين كلمة [...][4] «لا إله» نفي لكلِّ آلهة؛ و «إلَّا الله» هذا إثبات لإلهيَّة الله -تبارك وتعالى-.

[3] قال عَمْرو بْن أَخْطَب: (صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْفَجْرَ وَصَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الظُّهْرُ، فَنَزَلَ فَصَلَّى ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الْعَصْرُ ثُمَّ نَزَلَ، فَصَلَّى ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَخَطَبَنَا حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ، فَأَخْبَرَنَا بِمَا كَانَ وَبِمَا هُوَ كَائِنٌ فَأَعْلَمُنَا أَحْفَظُنَا) [رواه مسلم]

وممَّا يدلُّ أيضًا على هذين الرُّكنين قوله -تبارك وتعالى-: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا﴾[5] فقوله -جلَّ وعلا-: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾ هو معنى الرُّكن الأوَّل «لَا إله»، وقوله: ﴿وَيُؤْمِن بِاللَّهِ﴾ هو معنى الرُّكن الثَّاني «إلَّا الله».

وأيضًا من أدلَّة ذلك قولُ إبراهيم ﷺ -الَّذي أمر الله نبيَّه محمَّدًا ﷺ وجميع الأنبياء بقوله ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾[6]- إبراهيم ﷺ قال لأبيه وقومه: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾[7] وهذا موافق ومطابق لقول: «لا إله»، وقوله -جلَّ وعلا-: ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾[8] وهذا مُوافق لقوله: «إلَّا الله»، وهو معنى النَّفي والإثبات.

وقد قال -تبارك وتعالى- أيضًا في كتابه الكريم: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[9] فهذا نفي وإثبات، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ فهذا إثبات وهذا نفي.

---

[4] انقطاع يسير في الصَّوت.
[5] سورة البقرة: 256
[6] سورة النحل: 123
[7] سورة الزخرف: 26
[8] سورة الزخرف: 27
[9] سورة الأعراف: 36

هذا ما يتعلَّق برُكني «لا إله إلَّا الله» وهي معنى سُورة الإخلاص الثَّانية الَّتي محَّضت العُبودية لله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾[10].

[10] سورة الكافرون.

۞ مَعْنَى لاَ إِلَهَ إِلَّا الله ۞

ثمَّ قال الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَلَهَا معْنى عَظِيمٌ قَدْ سَما   بَيَّنهُ ربِّي تعَالَى فِي السَّما

[لَهَا]: أي كلمة التَّوحيد «لا إله إلَّا الله» [مَعْنى] لابُدَّ من معرفته، وهذا المعنى وصفه بأنَّه عظيم لأنَّه هو المراد منها.

[قَدْ سَمَا] من السُّمو وهو العلو، فهذا المعنى عالٍ عند القائلين به.

[بَيَّنَهُ] وتولَّى بيانه [رِبِّي تَعَالَى فِي السَّمَا] المراد بالسَّماء هُنا: العلو، فالله -جلَّ وعلا- هو الَّذي تولَّى بيان معنى هذه الكلمة، فأهل السُّنَّة والجماعة من أعظم مميِّزاتهم وخصائصهم أنَّ دينهم راجعٌ إلى كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ، ليس إلى الآراء، ولا إلى الأهواء، ولا إلى المأثورات، ولا المألوفات، ولا ما شابه ذلك من العادات، لا؛ هُم يأخذون دينهم من كتاب الله ومن سُنَّة رسوله.

الله -جلَّ جلاله- هو الَّذي تولَّى بيان معنى هذه الكلمة لأنَّه قال -تبارك وتعالى- في كتابه الكريم: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾[11] وفي الآية أُخرى: ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ﴾[12] فالله -جلَّ وعلا- تولَّى بيان معنى هذه الكلمة.

[11] سورة الحج: 62
[12] سورة لقمان: 30

أيضًا من جهة أخرى: من جهة ما حكاه عن المشركين الَّذين أبوا وتمنَّعوا من أن يقولوا هذه الكلمة لأنَّهم عرفُوا معناها -كما سيأتي معنا- وذلك كما أخبر الله -جلَّ وعلا- عنهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾[13] وكما قال -جلَّ وعلا- عنهم: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾[14] والعرب الفُصحاء البُلغاء يعرفون معاني الألفاظ من خلال إعرابها، لأنَّ الإعراب هو حقيقة بيانِ الكلام.

_ كيف تعرف مقصود المتكلِّم؟

بهذا الإعراب، بِفهم إعراب الكلام الَّذي قاله وأراده وإلَّا لم تكن فاهمًا.

ولهذا العرب أهل الجاهلية لـمَّا عرفوا حقيقة هذه الكلمة أَبوا أن يقولوها لأنَّهم فهموا أن التزامهم لمعناها ولركنيها انتفاءٌ من كلِّ آلهة يعبدونها ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ هذا المعنى من أين نأخذه؟ من خلال فهم كلمة التَّوحيد «لا إله إلَّا الله»، فـ«لا» هذه هي النَّافية للجنس عند العرب، وهذه «لا» النَّافية تعمل في النَّكرات.

عَمَلَ إِنَّ اجْعَل لِلَا فِي نَكِرَه

وعملها عمل «إنَّ» في المعارف تطلب اسمًا وتطلبُ خبرًا لكنَّ اسمها يكون نكرة وخبرها [...][15] جملة أو شبه جُملة، فاسمها «إله»، و«إله» هنا من ناحية أصولية

[13] سورة الصافات: 35
[14] سورة ص: 5
[15] انقطاع يسير في الصَّوت

أيضًا نكرة أصله فِعال بمعنى «مألوه» أي معبود؛ وهذه النَّكرة -وقد دخل عليها النَّفي- تُفيد العموم، تفيد عموم الآلهة.

ومن ناحية بيانية تُفيد الحصر لأنَّه وقع النَّفي مع الإثبات، فتأمَّل في هذا لا يُلبِّس علينا القوم أمر ديننا ف«لا إله» هذه هي العاملة عمل إنَّ، و «إله» اسمها[...][16]

وَسَاعَ فِي ذَا الْبَابِ إِسْقَاطُ الخَبَرِ   إِذَا الْمُرَادُ مَعْ سُقُوطِهِ ظَهَر

✿ والخبر إمَّا أن نُقدِّره مفرد فنقول:«حق» وإمَّا أن نُقدِّره شبه جملة ونقول:«بحق» وكلُّه صواب إلَّا أنَّ الأوَّل أقوى وأحق.

و«الله» هنا بدل من الخبر، ولا يلتفتون إلى أنَّ معنى «إله» مألوه بمعنى معبود، وإنَّما يقدِّرون «الخبر» موجود أو كائن أو بالوجود، وكلُّ هذا باطلٌ لأنَّه يُقرِّر ما عرفه المشركون الأوَّلون من العرب وهو أنَّ الله هو الخالق، الرَّازق، المدبِّر، وهذه الكلمة جاءت لتُقرِّر ما أنكروه لا ما أقرُّوا به وهو إفراده تعالى بالإلهيَّة لا إفراده تعالى بالرُّبوبيَّة، فافهم هذا فإنَّه عَقْد التَّوحيد وأصله وأساسه.

إذًا فمعنى «لا إله إلَّا الله» لا معبود، لأنَّنا قلنا «إله» مألوه، معبود، فِعال بمعنى مفعول، لا إله حق إلَّا الله.

هذا ما ذكره الشَّيخ رَحِمَهُ اللهُ في البيت الثَّاني وهو ما يتعلَّق بمعناها.

---

[16] انقطاع في الصوت

شُروط لاَ إِلَهَ إِلّا الله

ثمَّ قال:[شُرُوطُهَا] أي شروط هذه الكلمة -وهو ما تقدَّم معنا بيانه-.

[شُرُوطُهَا] وذكرتُ لكم في التَّنبيهات والمقدِّمات أنَّ أوَّل من ذكر هذه الشُّروط هو الشَّيخ عبد الرَّحمن بن حسن آل الشَّيخ -كما مرَّ معنا ذلك-، وما يتعلَّق بقول من أنكر هذه الشُّروط أو انتفى منها أو تنصَّل عنها[17].

قال رَحِمَهُ اللهُ:[شُرُوطُهَا بِالنَّص] انتبه إلى دقَّة أهل العلم، يُنبِّهك إلى أنَّ هذه الشُّروط ليست من بُنيَّات أفكار العلماء -وحاشاهم أن يكون هذا حالهم- فهم معظِّمون لأمر الله، ومعظِّمون لنصوص الكتاب والسُّنَّة، وهم الَّذين يعتقدون اعتقادًا جازمًا قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[18] فالشَّيخ رَحِمَهُ اللهُ يُنبِّهُك إلى أنَّ هذه الشُّروط ليست إملاءً من قائد حركة، ولا قائد جماعة، ولا قائد حزب، ولا شيخ طريقة، بل هي من جهة النَّص.

[17] تعذَّر الوقوف على المقدمة في التسجيلات.

[18] سورة الحجرات: 1

[بِالنَّصِّ] أي أنَّها بالنُّصوص الَّتي في كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ، ذلك بأنَّ الله -تبارك وتعالى- تولَّى بيان دينه وشرعه وأحكامه ومن ذلك هذه الكلمة العظيمة.

قـــــــال:

شُرُوطهَا بِالنَّصِّ قُلْ ثَمَانِيَه

وتعرفون أنَّ كثيرين من أهل العلم يذكرون أنَّها سبعة كما ذكرتُ لكم نظم الشَّيخ ابن سَحْمان رَحِمَهُ اللهُ وكما ذكرتُ لكم أيضًا نظم الشَّيخ حافظ حكمي:

وَبِشُرُوطٍ سَبْعَةٍ قَدْ قُيِّدَتْ ... وَفِي نُصُوصِ الوَحْيِ حقًا وَرَدَتْ

وكما في النَّظم المشهور:

عِلْمٌ، يَقِينٌ وَإِخْلَاصٌ وَصِدْقُكَ مَعْ ... مَحبَّةٍ وَانْقِيَاد وَالْقَبُولُ لَهَا

هذه سبعة، ولذلك جاء الشَّيخ سعد بن حمد بن عتيق رَحِمَهُ اللهُ فقال:

وَزِيدَ ثَامِنُهَا الْكُفْرَانُ مِنْكَ بِمَا ... سِوَى الإلهِ مِنَ الْأَوْثَانِ قَدْ أُلِهَا

والأمر في هذا يسير، لماذا؟ لأنَّ المقصود هو بيان أدلَّة هذه الشُّروط، فذكر الشَّيخ رَحِمَهُ اللهُ أنَّها ثمانيَّة على اعتبار ذلك الشَّرط الَّذي زاده الشَّيخ سعد بن عتيق رَحِمَهُ اللهُ.

الشَّرطُ الأَوَّلُ: العِلْمُ

ثمَّ بدأ رَحِمَهُ اللَّهُ بسردها فقال:

الْعِلْمُ وَالْيَقِينُ، إِخْلَاصُ النِّيَه

[الْعِلْمُ] هذا هو أوَّل شروطها، والعلماء كما ذكرتُ لكم في التَّنبيهات الَّتي سبقت لم يُعرِّفوا هذه الشُّروط بالحدود المطابقة وإنَّما عرَّفوها بضدِّها.

والضِّدُّ يُظْهِرُ حُسْنَهُ الضِّدُّ ... وَبِضِدِّهَا تَتَمَيَّزُ الأَشْيَاءُ

وذكرت السَّبب في هذا أيضًا في ما سبق وهو لئلا يُشكل على بعض النَّاس أنَّ بعضها فيه نوع تكرار كـ «القبول والانقياد».

فقالوا الشَّرط الأوَّل: العلم المنافي للجهل أو العلم بمعناها نفيًا وإثباتًا.

العلم ما أدلَّته؟ -في هذه الكلمة على خصوصها وفي الشَّريعة عمومًا- وأنتم تعرفون أنَّ في المسائل الأربع الَّتي قدَّمها الشَّيخ مُحمَّد بن عبد الوهَّاب بين يدي «الثَّلاثة الأصول» أنَّه ذكر أربع مسائل هي: «الْعِلْمُ وَالْعَمَلُ بِهِ وَالدَّعْوَةُ إِلَيْهِ وَالصَّبْرُ عَلَى الأَذَى فِيهِ».

ما دليل العلم بهذه الكلمة؟

قوله -تبارك وتعالى-: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾[19]، ﴿فَاعْلَمْ﴾ العلم اليقيني الَّذي لا يتطرَّقه شكٌّ ولا ارتياب، لا يتطرَّقه اضطراب ولا اختلاف أو احتمال أنَّ هذه الكلمة قد تكون صحيحة وقد لا تكون، أنَّ هذه الكلمة قد يكون جاء بها النَّبي ﷺ وقد لا يكون، وما شابه ذلك من الشُّكوك الَّتي تَعْترض لبعض النَّاس بسبب إعراضهم عن العلم، فالعلم كما يقول الحافظ ابن القَّيم:

الْعِلْمُ مَعْرِفَةُ الْهُدَى بِدَلِيلِهِ ... مَاذَاكَ وَالتَّقْلِيد يَسْتَوِيَان

﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ وهذا العلم راجع إلى ما ذكرنا سابقًا: إلى رُكنيها نفيًا وإثباتًا، وإلى معناها «لا معبود حق إلَّا الله»، فإذا علمتَ أنَّه لابُدَّ في «لا إله إلَّا الله» من نفي كلِّ آلةٍ تُعبد من دون الله وهو ما يدعو إليه بعض النَّاس اليوم من المتفلِّتين عن الدِّين من أنَّهم يقولون: «اتركوا النَّاس وما يختارون من دياناتهم»، «النَّاس أحرار في عقائدهم» لا، أو «احترام الآخر» أو «احرام الرَّأي الآخر»، لا؛ لابدَّ من الكفر بهم وبما يعبدون ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾[20] فهذه الأقوال الَّتي يقولونها من جهة أنَّ النَّاس «أحرار في عقائدهم»، «لا تتدخَّلوا في عقائد النَّاس»، «احترام عقائد الآخرين» - وما شابه ذلك- هذا كلُّه باطلٌ، لابدَّ من نفي كلِّ آلهةٍ سوى الله ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ

---

[19] سورة محمد: 19
[20] سورة الممتحنة: 4

آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴾[21]، وكما قال ربُّنا -تبارك وتعالى-: ﴿سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[22] فلابدَّ من معرفة رُكْنَيها، ولابدَّ من معرفة معناها.

_ فإذا قيل لك: ما العلم بها؟!

_ فقل: معرفة رُكْنَيها عملاً واعتقادًا، ومعرفة معناها عملاً واعتقادًا.

والعلم هو معرفة الهدى بدليله، فإذا علمتَ ما جاءت به هذه الكلمة إمَّا من جهة الإجمال أو من جهة التَّفصيل فقد أتَيْتَ بها فرض الله عليك.

قال: «وقوله: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[23]».

هذا الدَّليل الثَّاني: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ﴾ والحق المراد به هنا: كلمة التَّوحيد -كما سيأتي-، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ وهم يعلمون ما يشهدون به.

قال الشَّيخ حافظ بن أحمد حكمي تعليقًا على هذه الآية: «﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ﴾: أي بـ:لا إله إلَّا الله، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ بقلوبهم معنى ما نطقوا به بألسنتهم».

النَّبيُّ ﷺ لـمَّا قال -كما في الصَّحيحين من حديث عبدالله بن عمرو وأبي هريرة وغيرهما من الصَّحابة- لـمَّا قال: «أُمِرْتُ أنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا

---

[21] سورة الإسراء: 42

[22] سورة الزخرف: 82

[23] سورة الزخرف: 86

اللهُ»[24] لابدَّ من القول الَّذي يُواطئ فيه القلب اللِّسان وإلَّا لم يكن هذا القول صحيحًا، لأنَّ الله قال عن المنافقين: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾[25]، فهذان الدَّليلان من الكتاب على هذا الشَّرط.

قال: «ومن السُّنَّةِ الحديث الثَّابت في الصَّحيح عن عُثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»[26].

_ ما حقيقة العلم؟!

أن يعلم الرُّكنَيْن من جهة نفيِ الإِلهية عن ما سوى الله، ومن جهة إثبات الإلهية لله -تبارك وتعالى-.

فالنَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال هنا: «مَنْ»، و «من» هذه من الأسماء المبهمة، من صيغة العموم.

كَذَاكَ مَنْ وَمَا تُفِيدَانِ مَعَا ... كُلَّ الْعُمُومِ يَا أُخَيَّ فَاسْمَعَا

فكلُّ من مات وقد خرج من الدُّنيا وهو يعلم بهذه الكلمة بـ «لا إله إلَّا الله» من جهة رُكنيها ومن جهة معناها، ما جزاؤه؟! «دَخَلَ الْجَنَّةَ» وهذا أعظم الجزاء؛ وهذا الحديث خرَّجه مُسلم في صحيحه.

والكلام على العلم وعلى أهمِّيته وعلى ثمرته وعلى طُرقه يخرجنا عن المقصود.

[24] رواه البخاري ومسلم.
[25] سورة آل عمران: 167
[26] رواه مسلم.

❀ وكذلك طالبُ العلم -والمسلم عمومًا- لابدَّ له وأن يعلم من هذه الشَّريعة ما يرفع عنه الجهل بمراد الله تعالى.

الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: «طَلَبُ الْعِلْمِ أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ لِمَنْ صَحَّتْ نِيَّتُهُ؛ قِيلَ: فَأَيُّ شَيْءٍ تَصْحِيحُ النِّيَّةِ؟ قَالَ يَنْوِي أَنْ يَتَوَاضَعَ فِيهِ وَيَنْفِيَ عَنْهُ الْجَهْلَ»[27]، ولهذا قال الإمام مالك أبو عبدالله -إمام دار الهجرة- رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَا تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ إِلَّا لِنَفْسِي، وَمَا تَعَلَّمْتُ لِيَحْتَاجَ النَّاسُ إِلَيَّ، وَكَذَلِكَ كَانَ النَّاسُ»[28]، وليس خافٍ على [...][29].

معاوية ابن أبي سفيان أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»[30]، فلابدَّ علينا أن نجتهد وأن نُشمِّر لطلب العلم، ومن أعظمه: العلم بهذه الكلمة وبما اقتضته من جهة ركنيها، من جهةِ شروطها، من جهة نواقضها -إلى آخر ذلك-.

---

[27] "غداء الألباب" للسفاريني رحمه الله؛ الجزء الثاني، ص:519.

[28] "سير أعلام النبلاء" للذهبي رحمه الله؛ الجزء الثامن، ص:66.

[29] انقطاع يسير في الصَّوت

[30] صححه الألباني رحمه الله في "صحيح الجامع".

الشَّرطُ الثَّاني: اليقين

ثمَّ قال الشَّيخ العلاَّمة زيد المدخلي رَحِمَهُ اللهُ في بيان هذه الشُّروط:[الْعِلْمُ وَالْيَقِينُ] وهذا هو الشَّرط الثَّاني ألَا وهو شرط «اليقين».

واليقين المراد به المنافي للشَّكِّ، وهو كمال العلم بها المنافي للشَّكِّ والرَّيب، بأن يكون قائلها مُستيقنًا بمدلول هذه الكلمة الطَّيِّبة يقينًا جازمًا وصادقًا؛ لأنَّ «اليقين» مِن يَقَنَ الشَّيء إذا استقرَّ، فليس عنده ارتياب، كما قال -جلَّ وعلا-: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ﴾[31] فسَّر طوائف من أهل العلم «الرَّيب» هنا: بالشَّكِّ، وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ بأنَّ المعنى أدقّ من هذا وهو أنَّه شكٌّ مع اضطراب، لأنَّ الشَّاكَّ مُضطربٌ، مُرتابٌ.

فهذا الشَّرط الثَّاني كمال العلم وهو «اليقين» بأن تكون مُستيقنًا بأنَّ هذه الكلمة حق، وبأنَّ النَّبيَّ ﷺ جاء بها من عند الحق -جلَّ جلاله-، فلا يتطرَّقها احتمالٌ ولا جدالٌ ولا شكٌّ ولا ارتيابٌ على الإطلاق.

❀ ما الدَّليل على هذا الشَّرط؟

---

[31] سورة البقرة: 2

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾[32] «إنَّما» هذه من أساليب الحصر المعروفة عند أهل العلم، وهي كثيرة وأشهرها أربعة[33]:

_ النَّفي مع الإثبات -كما مرَّ معنا في «لَا إله إلَّا الله»-.

_ وإنَّما.

_ وتعريف المبتدأ والخبر ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ﴾[34].

_ وتقديم ما حقُّه التَّأخير ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[35]، ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا﴾[36]، إلى آخره.

فحصر الله الإيمان في هذه الطَّائفة من النَّاس فقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ وهذا الإيمانُ بالله والإيمان برسوله مُتضمِّن للإيمان بكلِّ ما جاء عن الله وعن رسوله ﷺ، بكلِّ ما جاء في الكتاب وفي السُّنَّة، لابدَّ من الإيمان به ومعرفته والعلم به على اليقين.

وذكر الله -تبارك وتعالى- آثار يقينهم فقال: ﴿ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ فقد يقن الإيمان في قلوبهم واستقرَّ، ليس معنى «استقرَّ» بمعنى أنَّه لا يزيد ولا ينقص، لا؛ ولكنَّه

---

[32] سوة الحجرات: 15

[33] نَظَمَ شَيْخُنَا مُصْطَفَى مبْرَم حَفِظَهُ الله أَسَالِيبَ الْحَصْرِ الأَرْبَعَة الْمَشْهُورَة، فقالَ:

بِإِنَّمَا وَالنَّفيِ مَــعْ إِثْبَاتِ ... مُعَرَّفُ الجُزْأيْــنِ حَصْرٌ يَاتِي
كذَاك تقْدِيمٌ لعَاملٍ فُهِمْ ... وَذي هِيَ المَشْهُور مِنْها يَا فَهِمْ

[34] سورة المنافقون: 4

[35] سورة الفاتحة: 5

[36] سورة المائدة: 25

لايقبل الارتياب ولا الشَّكَّ ولا الاضطراب ولا الاحتمال، لا؛ بل هم مُستيقنون بهذه الكلمة، مُستيقنون بمعناها، مُستيقنون بأركانها، مُستيقنون بشروطها، مُستيقنون بما دلَّت عليه ﴿ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾.

ثمَّ ذكر أيضًا آثار يقينهم فقال: ﴿وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾.

فاشترط في صدقِ إيمانهم بالله ورسوله كونهم ﴿لَمْ يَرْتَابُوا﴾ يعني لم يشكُّوا، فأمَّا المرتاب فهو من المنافقين كما يقول الشَّيخ العلامة حافظ بن أحمد حكمي رَحِمَهُ اللَّهُ في «المعارج».

ومن السُّنَّة -يعني الدَّليل على هذا الشَّرط- الحديث الثَّابت في الصَّحيح عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، لَا يُلْقَى بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فِيهِمَا إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ»[37] وهذا الدَّليل ظاهر وهو عند مسلم، وفي الرِّواية الأخرى: «لَا يَلْقَى اللَّهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ، فَيُحْجَبَ عَنِ الْجَنَّةِ»[38] يعني غير شاكٍّ في «لا إله إلَّا الله» وفي «أنَّ مُحمَّد رسول الله» صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ليس عنده شكٌّ، ليس عنده ارتياب ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ

[37] رواه مسلم
[38] رواه مسلم

بِهِ﴾[39] -كما سيأتي معنا-، بل يوقن يقينا جازما أن هذا الدين حق وأنَّه من عند الله.

قال -وفَّقه الله في سياق الأدلَّة-: «وعن أبي هريرة أيضًا من حديثٍ طويلٍ: «مَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ»[40].

هذان دليلان من سُنَّة النَّبيِّ ﷺ، وهذا الحديث أيضًا أخرجه مُسلم، يقول فيه النَّبيُّ ﷺ لأبي هُريرة: «مَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» ما حاله في شهادته؟ «مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ»، ولهذا جاء في حديث سيِّد الاستغفار -حديث أبي يعلى شدَّاد بن أوس عند البخاري وغيره- من قالها: «مُوقِنًا بِهَا فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ»[41].

هذان شرطان من شروط «لا إله إلَّا الله»، مع ما ذكرنا من المقدِّمة، والوقت بهذا يكون قد انتهى، ونُكمل إن شاء الله تعالَى في اللَّيلة المُقبلة.

وفَّق الله الجميع لما يحبُّ ويرضى؛ والحمد لله ربِّ العالمين، وصلَّى الله على نبيِّنا مُحمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

[39] سورة الزمر: 33

[40] رواه مسلم

[41] رواه البخاري

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربِّ العالمين والصَّلاة والسَّلام على نبيِّنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين؛ أمَّا بعد:

فهذا هو المجلس الثَّاني من مجالس التَّعليق والشَّرح على منظومة «أركان ومعنى وشروط لا إله إلَّا الله» للشَّيخ العلامة زيد بن محمَّد بن هادي المدخلي رَحِمَهُ اللَّهُ، ضِمن فعاليات دورة الشَّيخ زيد المدخلي الأُولى المنعقدة في جامع أبي بكر الصِّديق في مدينة «البريقة» بليبيا؛ والَّذي يُنقل أيضًا على غُرفة إمام دار الهجرة العلميَّة، - نسأل الله التَّوفيق والسَّداد، والهدى والرَّشاد للجميع -.

وقد تكلَّمنا على شَرطين من شروط هذه الكلمة.

الشَّرطُ الثَّالِثُ: الإِخْلَاص

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

شُرُوطُهَا بِالنَّصِّ قُلْ ثَمَانِيَه   الْعِلْمُ وَالْيَقِينُ، إِخْلَاصُ النِّيَه

وتقدَّم الكلام على ما ذكره في هذا البيت من الشَّرط الأوَّل والثَّاني.

ثمَّ قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:[إِخْلَاصُ النِّيَة] وأيضًا ذكرنا طرفًا من الكلام على هذا الشَّرط، وأنَّ الإخلاص معناه: استخلاص العمل من شوائب الشِّرك والرِّياء والعجب وحبِّ السُّمعة، فيُخلِّصه صاحبه من هذه الأدواء والأمراض.

وقوله:[النِّيَة] هنا بالتَّخفيف للوزن، وهي لغة بهذه اللَّفظة، وإن كان الأفصح والأشهر التَّشديد؛ ولكن هكذا قرأتُ على شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهكذا يستقيم الوزن.

شُرُوطُهَا بِالنَّصِّ قُلْ ثَمَانِيَه   الْعِلْمُ وَالْيَقِينُ، إِخْلَاصُ النِّيَه

فهي لغةٌ أُخرى في «النِّيَّة».

وهنا ذكر الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ الشَّرط الثَّالث من شروط «لا إله إلَّا الله» ألَا وهو شرط «الإخلاص».

وديل الإخلاص قوله -تبارك وتعالى-: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾[42]، وقوله سبحانه: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾[43].

هذه الآية -ألَا وهي قوله تعالى-: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ «ألا» هذا حرف استفتاح ينبِئ عن الاهتمام بما يقال بعده، يعني أنَّ ما سيُلقى وسيُقال بعده من الأهمية بمكان، ولاشكَّ أنَّ أعظم ما سيُلقى مُتعلِّق بالتَّوحيد.

وقوله -تبارك وتعالى-: ﴿لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ هذا فيه الحصر، فالدِّين الخالص، الدِّين المحض، الدِّين الحق، الدِّين الصَّحيح لا يكون إلَّا لله، فلا يتوجَّه العبد بقلبه ووجهه وكلِّه وكماله وحياته إلَّا لله -تبارك وتعالى- لأنَّ من أساليب الحصر: «تقديم ما حقُّه التَّأخير»، فحصرَت الآية الدِّين الخالص لله -تبارك وتعالى- ولا ينفع الدِّين إلَّا إذا كان خالصًا في السَّرَّاء والضَّرَّاء وفي الشِّدَّة والرَّخاء، والمشركون الأوَّلون كانوا يخلصون في الشِّدَّة ويشركون في الرَّخاء كما قال -جلَّ وعلا-: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[44] قال أئمَّة الدَّعوة: حيث ورد الدِّين هاهنا فإنَّ المراد به التَّوحيد -يُراد به التَّوحيد-؛ فقوله

[42] سورة الزمر: 3
[43] سورة البينة: 5
[44] سورة العنكبوت: 66

-جلَّ وعلا-: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ أي التَّوحيد الخالص الَّذي ليس فيه رياءٌ ولا سمعة، الَّذي لم يدخله شركٌ أكبر ولا شركٌ أصغر، فإنَّ مقابل الدِّين الخالص «الرِّياء»، والرِّيــاء:

_ إمَّا أن يكون محضًا، خالصًا، وصريحًا، وهذا هو رياء المنافقين الَّذين يُبطنون الكفر ويظهرون الإيمان، وهذا النَّوع من النِّفاق كما يقول الحافظ ابن رجب لا يصدر من مُؤمن، فلابدَّ أن يكون الدِّين خالصًا لله.

_ وأمَّا الرِّياء الَّذي هو الشِّرك الأصغر فإنَّه قد يصدر من المؤمن ويقع كما هو الواقع ويحاسبه الله تعالى على قدر عمله.

- فالعبد إذا دعا الله -تبارك وتعالى- في حال الشِّدَّة مُخلصًا له الدِّين وفي حال الرَّخاء يجعل بينه وبين الله الوسائل والوسائط فإنَّ هذا هو الشِّرك الَّذي كان عليه أهل الجاهلية والَّذي لا يقبل الله معه أيَّ عملٍ، فالرَّبُّ -تبارك وتعالى- قال: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾.

وقوله سبحانه: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّين﴾ هذه الآية أيضًا فيها حصرٌ وهو «النَّفيُ مع الإثبات»، لأنَّ العرب إذا أدخلت الإثبات على النَّفيِّ فإنَّها تُريد الحصر كما مرَّ معنا «لَا إِلَٰه إِلَّا الله».

﴿وَمَا﴾ هذه هي النَّافية، ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ هذا هو الإثبات، فما الحصر الَّذي امروا به؟ ما المأمور به حصرًا؟ قال -جلَّ وعلا-: ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُوا

اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ يعني أنَّهم يعبدون الله وهم في حال عبادتهم يخصلون الدِّين لله.

✿ و«العبادة»: اسمٌ جامعٌ لكلِّ ما يُحبُّه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظَّاهرة والباطنة، وقد نظم هذا المعنى شيخ مشايخنا العلاَّمة حافظ حكمي فقال:

ثُمَّ الْعِبَادَةُ هِيَ اسْمٌ جَامِعُ ... لِكُلِّ مَا يَرْضَى الْإِلَهُ السَّامِعُ

فهذه هي العبادة، فهي أقوالٌ ظاهرةٌ وباطنةٌ، وأفعالٌ ظاهرةٌ وباطنةٌ، فكلُّ عبادةٍ أمر الله -تبارك وتعالى- بها فإنَّها لا تنفع صاحبها إلَّا إذا كانت خالصةً لله -تبارك وتعالى-، فإذا خالطها الرِّياء المحض -يعني رياء المنافقين- كانت باطلةً بُطلانا محضًا، وإذا خالطها نوعٌ من الرِّياء الَّذي يصدر من المؤمن فإنَّ هذا بحسب حاله وجزاؤُه إلى الله تعالى.

وقد قال نبيُّنا ﷺ كما في الحديث المتَّفق عليه عن عمر الفاروق رضي الله عنه: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى».

فالرَّبُّ -جلَّ وعلا- قال عنهم -عن العباد-: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ هكذا مطلقًا؟ أيُّ عبادةٍ يفعلونها؟ لا؛ لكن لابدَّ من الاتباع فيها والإخلاص كما قال -تبارك وتعالى-: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[45] جاء عن الفُضيل بن عياض أنَّه قال: «أَخْلَصُهُ وَأَصْوَبُهُ؛ قَالُوا: يَا أَبَا عَلِيٍّ مَا أَخْلَصُهُ وَأَصْوَبُهُ؟ قَالَ: إِذَا كَانَ الْعَمَلُ خَالِصًا وَلَمْ يَكُنْ صَوَابًا لَمْ يُقْبَلْ وَإِذَا كَانَ صَوَابًا وَلَمْ يَكُنْ خَالِصًا لَمْ يُقْبَلْ حَتَّى يَكُونَ

[45] سورة الملك: 2

خَالِصًا صَوَابًا، وَالْخَالِصُ أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ وَالصَّوَابُ أَنْ يَكُونَ عَلَى السُّنَّةِ»[46] فلابدَّ أن يكون الدِّين خالصًا لله.

وقوله -جلَّ وعلا- هنا: ﴿حُنَفَاءَ﴾ هذا مأخوذٌ من الحَنَف، والحنف هو إقبال أحد الرِّجلين إلى الأُخرى في الأصل.

واللهِ لَوْلَا حَنَفٌ بِرِجْلِهِ ... مَا كَانَ فِي فِتْيَانِكُم مِن مِثْلِهِ

وقد عرَّفه كثيرٌ من العلماء بأنَّه ميلٌ عن الشِّرك وإقبالٌ على التَّوحيد.

لكن الحافظ ابن القيِّم اعترض على هذا التَّفسير وهذا المعنى وقال بأنَّه تفسيرٌ باللاَّزم وقرَّر أن معنى «الحنيف» هو المقبل على الله المعرض عن كلِّ ما سواه كما في كتابه «جلاء الأفهام»[47].

ومن السُّنَّة -يعني من أدلَّة السُّنَّة- الحديث الثَّابت في الصَّحيح عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مَنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ» وهذا الحديث خرَّجه البخاري في «كتاب العلم» وفي غيره من صحيحه، وذلك أنَّ أبا هُريرة سأل النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ؟» فقال: «لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ» ثمَّ قال: «أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» كيف يقولها؟ قال: «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ

[46] "مجموع فتاوى ابن تيمية" لابن قاسم رحمه الله؛ الجزء الثالث، ص:124
[47] "جلاء الأفهام" ص:305

أَوْ نَفْسِهِ» فليست مجرَّد كلمة يقولها الإنسان لا يستحضر فيها قلبه، لا يكون قلبه مخلصًا فيها، لا تكون نفسه مُطمئنَّةً بها، فإنَّ قول اللِّسان دون مواطأة قول القلب لا ينفع صاحبه، لابدَّ أن تتبيَّن هذا -كما مرَّ معنا في الدَّرس الماضي-.

وكذلك ما جاء في الصَّحيح عن عتبان بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -يعني في حديثه الطَّويل- عن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قال: «إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ»[48].

«إِنَّ الله حَرَّمَ عَلَى النَّارِ» أي منع النَّار أن تتسلَّط عليه إمَّا ابتداءً أو تأبيدًا، فإمَّا أنَّها لا تُسلَّط عليه أصالة أبدًا أو أنَّها قد تسلَّط عليه لكن إلى أمد.

_ فالأوَّل: الَّذين يدخلون الجنة بغير حسابٍ ولا عذاب.

_ والثَّاني: قومٌ أتوا بالتَّوحيد وأخلصوا فيه إلَّا أنَّهم خلطُوا عملاً سيِّئًا من جنس الذُّنوب والكبائر، فهؤلاء يدخلون النَّار ويُعذَّبون على قدر ذنوبهم؛ ثمَّ لا تُسلَّط عليهم النَّار تسلُّط تأبيد.

فقال: «إِنَّ الله حَرَّمَ» يعني إمَّا إلى أمد وإمَّا إلى أبد، «حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا الله» يعني مجرَّد قول لسانٍ؟ لفظ يلفظ به كما يلفظ أيَّ كلام؟! لا؛ قال: «يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ الله» لا يريد أن يُعصم بها دمه أو ماله أو عِرضه أو أن يكون له جاهٌ بين النَّاس أو أن لا يُقتل -أو ما شابه ذلك- كما فعله المنافقون في عهد النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لا؛ وإنَّما يقولها مُبتغيًا بها وجه الله، لا يريد بها جزاءً ولا شكورًا من النَّاس

---

[48] متفق عليه.

ولا يريد بها حفظ دنياه وإنَّما يُريد بها حِفظ دينه وآخرته هذا الَّذي يجب أن يكون عليه العبد؛ وحديث عتبان بن مالك خرَّجاه في الصَّحيحين.

قال: «وللنَّسائي في اليوم واللَّيلة من حديث رجلين من الصَّحابة عن النَّبيِّ ﷺ قال: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ مُخْلِصًا بِهَا قَلْبُهُ يُصَدِّقُ بِهَا لِسَانَهُ إلا فتق اللَّهُ لَهَا السَّمَاءَ فَتْقًا حَتَّى ينْظرَ إِلَى قَائِلِهَا مِنْ أَهْلِ الأَرْض، وَحق لعَبْدٍ نَظَرَ اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ يُعْطِيَهُ سُؤْلَهُ» هذا الحديث كما ذكر الجامع -وفَّقه الله- بأنَّه أخرجه النَّسائي في عمل اليوم واللَّيلة.

ولكن هذا الحديث إسناده ضعيف لا يصحّ عنه ﷺ والحديثان المتقدِّمان مُغنيان عنه.

الشَّرطُ الرَّابِع: الصِّدْقُ

ثمَّ قال الشَّيخ زيد رَحِمَهُ اللَّهُ:

رَابِعُهَا الصِّدْقُ يَلِيهِ الْخَامسُ

[رَابِعُهَا] الضَّمير عائدٌ على قوله:[شُرُوطُهَا] لأنَّه ذكر الأوَّل والثَّاني والثَّالث ثمَّ نصَّ على الرَّابع فقال:[رَابِعُهَا] أي رابع الشُّروط [الصِّدْقُ] والصِّدق لما عرَّف العلماء هذا الشَّرط قالوا: الصِّدق المنافي للكذب أو الصِّدق المنافي للتَّكذيب لمفارقة المنافقين، فالصِّدق المنافي للكذب أو المنافي للتَّكذيب من أجلِ مُفارقة المنافقين، لأنَّا نعلم أنَّ المنافقين يقولون لا إله إلَّا الله، ويقولون بأنَّهم قد آمنوا، لكن هل صدقوا في إيمانهم؟! لا لَم يصدقوا ولم يكونوا صادقين فيما نطقت به ألسنتهم لأنَّ قولهم لا يُطابق واقعهم، والصِّدق ما طابق الواقع ووافقه يكون حقًّا؛ فالصِّدق المراد به المنافي للتَّكذيب فلا يكون لسانه ناطقًا وقلبه مكذِّبًا بل يُواطئ القلب اللِّسان فيما نطق به وما تكلَّم به وإلَّا لم يكن لهذه الكلمة نفعٌ لصاحبها، لا تنفعه، لا ترفعه، هذا الصِّدق لابدَّ أن يُنافي الكذب.

❁ قال -يعني الجامع-: «ودليل الصِّدق قوله تعالى: ﴿الم أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ

﴿الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾[49] هذه الآية نزلت في سورة العنكبوت الَّتي تُسمَّى بـ«سورة الفتنة» [...][50] لأنَّ فيها أنواع من الفتنة، فالرَّبّ -تبارك وتعالى- قال في أوَّلها: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا﴾ يعني هل ظنَّ النَّاس أن يُتركوا لمجرَّد القول؟ ما يُحقِّقون هذا القول الَّذي يدَّعونه! ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾[51] لا يُختبرون! لا يُمتحنون! لا يُنظر في صدقهم أو في كذبهم! لأنَّ الله يبتلي عباده.

﴿أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ والحال أنَّ الله -تبارك وتعالى- ضرب الأمثال فقال: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ أي ليظهرنَّ الله هذا العلم، لأنَّ المراد بـ«العلم» هاهنا: علم الظُّهور، بمعنى أنَّ الله يعلم حالة هؤلاء قبل خلقهم وما يكنُّونه في قلوبهم.

- وهذا العلم الَّذي أخبر عنه بقوله: ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ﴾ هو علم الظُّهور، لأنَّ الله لا يُحاسب العباد ولا يُعاقبهم على علمه فيهم وإنَّما يحاسبهم على ظهور هذا العلم وعلى حصول هذا العلم -كما ذكر وحرَّر ذلك الحافظ ابن القيِّم وغيره من أئمَّة الإسلام-؛ فإنَّ هذا هو المعنى للآية، وهكذا تُفهم هذه الآية ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ في إيمانهم يوم فُتنوا واختبروا فإذا بقلوبهم قد صدَّقت ما قالته أَلْسنتم.

---

[49] سورة العنكبوت: 1-3

[50] انقطاع يسير في الصَّوت

[51] سورة العنكبوت: 2

﴿فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ وهم المنافقون الَّذين قالوا هذه الكلمة كذبًا ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾[52] كما سيذكر المصنِّف في الآية الثَّانية.

قال: «وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾[53]».

والشَّاهد في قوله: ﴿بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ من ادِّعائهم أنَّهم قد آمنوا بالله فهم لم يصدقوا وإنَّما كان طريقهم هو الكذب، كانوا يكذبون في قولهم بالإيمان وفي نُطقهم بشهادة «أن لا إله إلَّا الله» وبشهادة «أنَّ مُحمَّدًا رسول الله» ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾[54] فهذا من كذبهم فهم لم يؤمنوا أصالة وإنَّما قالوا ذلك خوفًا من دولة الإسلام وخوفًا من إقامة الحدود عليهم.

قال -وفَّقه الله-: «ومن السنَّة ما ثبت في الصَّحيحين عن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ، إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ».

---

[52] سورة البقرة: 9

[53] سورة البقرة: 8-10

[54] سورة المنافقين: 1

انظر إلى هذا المقام العظيم وإلى هذا الفضل المبين، انظر إلى هذه الفضائل العظيمة، نبيُّنا ﷺ يُبيِّن أثر هذه الكلمة قال: «مَا مِنْ أَحَدٍ» وهذا اللَّفظ عامٌّ، بل هو نصٌّ في العموم حتَّى لا يُظنَّ أنَّه لابدَّ أن يكون عربيًّا أو قُرشيًّا أو من أنساب العرب وأنفس أنسابها، بل كلُّ من قال هذه الكلمة على هذه الصِّفة وهذا الحال فإنَّه داخلٌ في هذا الفضل، لأنَّ «مَا» هذه هنا هي النَّافية، و «مِنْ» هذه هي الاستغراقية الَّتي إذا دخلت مع النَّفي على النَّكرة أفادت الاستغراق، والاستغراق يفيد التَّنصيص في العموم؛ فقوله «مِنْ» هذه استغراقية، و «أَحَد» هذه نكرة جاءت في سياق النَّفي المفصول بالاستغراق بـ «مِن» الاستغراقية فأفادت النَّص في العموم، فكلُّ من قال هذه الكلمة «شهد أن لا إله إلَّا الله وأنَّ محمَّدًا رسول الله» صادقًا من قلبه، فليست مجرَّد كلمة تُقال باللِّسان وحروف تُنطق باللِّسان، لاحظ أنَّ النَّبي ﷺ في هذه الأحاديث يُحيل إلى القلب مع اللِّسان.

كلُّ قولٍ جاء في نصوص الشَّريعة من جهةِ الأمر به فإنَّه لابدَّ أن يكون من جهةِ قول القلب ومن جهة قول اللِّسان، لابدَّ أن يتواطأ قول القلب مع قول اللِّسان، فإذا قالها كما يزعم الكاذبون من الجهمية معترفًا بقلبه وأبى أن ينطقها بلسانه فإنَّ هذا كافر لا يدخل في الإسلام بإجماع العلماء، فمن قال كلمة التَّوحيد بقلبه واعترف بها بقلبه ولم ينطق بها بلسانه مع القدرة عليها فإنَّ هذا كافرٌ بالإجماع، ومن قالها بلسانه ولم يواطئ هذا القول الَّذي في اللِّسان ما في القلب ولم يقلها بقلبه صادقًا بها فإن هذا منافق خالص، وهذا الَّذي قرَّره أئمَّة الإسلام.

«صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ، إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ» وهذا -كما ذكرتُ لكم-:

_ إمَّا أنَّه حرَّمها عليه تأبيدًا.

_ أو أنَّه حرَّمها عليه إلى أمد، بمعنى أنَّه يدخلها بذنوبه ثمَّ يخرج منها فلا يخلد فيها.

الشَّرطُ الخَامِسُ: الانْقِيادُ

ثمَّ قال الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في النَّظم:

رَابِعُهَا الصِّدْقُ يَلِيهِ الْخَامسُ   هُوَ انْقِيَادٌ وَالْقَبُولُ السَّادسُ

هذا هو الشَّرط الخامس وهو «الانقياد»، يعني الانقياد لهذه الكلمة بمعنى أنَّه لا يكتفي بمجرَّد القول.

_ الانقياد بماذا عرَّفه أئمَّة الدَّعوة؟

قالوا: الانقياد لحقوقها وهي الأعمال الواجبة إخلاصًا لله وطلبًا لمرضاته، الانقياد المنافي للتَّرك، بمعنى أنَّه لا يقولها فقط ثمَّ يترك فرائضها ويترك أوامرها ويترك مادلَّت عليه هذه الكلمة.

ما دليل الانقياد؟

قال: «ما دلَّ عليه قوله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾[55]».

﴿وَأَنِيبُوا﴾ يعني ارجعوا وانقادوا إلى ربِّكم، ﴿وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ والإسلام هو الاستسلام لله بالطَّاعة، هذا هو الإسلام، فالَّذي يُطيع الله -تبارك وتعالى- في

[55] سورة الزمر: 54

أوامره بامتثالها وفي نواهيه باجتنابها فهذا هو المسلم «الإِسْلاَمَ هُوَ الإِسْتِسْلاَمَ للهِ بِالتَّوْحِيدِ، وَالانْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ» كما عرَّفه إمام الدَّعوة في كتاب «الثَّلاثة الأصول» وفي غيرها من كتبه، فلابدَّ أن يكون الإسلام هكذا -إسلامٌ مشتملٌ على قول القلب، وقول اللِّسان، وعمل الجوارح-.

﴿وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ هذا تهديد، فإنَّه إذا جاء العذاب لا ينصر العبد ولا ينفعه إسلام ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾[56].

قال: «وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾[57]».

وهذه الآية جاءت أيضًا بصيغة العموم ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ يعني أن أحسن النَّاس دينًا وأجل النَّاس دينًا وأحق النَّاس دينًا مَن أسلم وجههُ لله؛ ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ مُتقنٌ لإسلامه، والإحسان كما عرَّفه النَّبي ﷺ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِن لمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ».

قال: «وقوله: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾[58]».

---

[56] سورة الأنعام: 158

[57] سورة النساء: 125

[58] سورة لقمان: 22

و «العروة الوثقى» قال العلاَّمة حكمي -وغيره من أهل العلم-: «أي بلا إله إلَّا الله»، : ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ أي: بلا إله إلا الله؛ فمن قالها مخلصًا ومُحسنًا وصادقًا فإنَّه قد استمسك بأعظم وأوثق عروة.

قال: «وقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[59]».

وهذه الآية أيضًا فيها بيانٌ للتَّحاكم إلى الله تعالى وإلى رسوله ﷺ وهو «الانقياد» أن تنقاد لا تكن كحال المنافقين ﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ﴾[60] فلابدَّ من التَّسليم، ولهذا قال: ﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

فهذه الآية كما يقول العلاَّمة ابن السّعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ اشتملت على مراتب الدِّين الثَّلاثة:

_ ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ هذا الإيمان.

_ ﴿حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ هذا الإسلام.

_ ﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ هذا الإحسان.

---

[59] سورة النساء: 65

[60] سورة النور: 49-50

قال: «ومن السُّنَّة قوله ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ».

وهذا الحديث أخرجهُ ابن أبي عاصم في السُّنَّة والبغوي في شرحها ونسبه النَّووي إلى الأصفهاني في كتاب «الحجَّة» وقد خرَّجه غير واحدٍ من أهل العلم وهو مختلف فيه، فمن أهل العلم من يحسِّنه كالنَّووي، والشَّيخ العلامة الوصابي -حفظه الله- يُحسِّنُ هذا الحديث ويُحسِّنُ حديث نُعيم بن حمَّاد الخزاعيّ؛ والحديث محتملٌ للتَّحسين وإن كان أكثر أهل العلم على ضعفه.

وهم مُجمعون على أنَّ معناه صحيح، فإنَّ العبد لا يكون منقادًا انقيادًا صحيحًا حتَّى يكون تبعًا لرسول الله ﷺ -بما جاء به رسول الله ﷺ-.

الشَّرطُ السَّادِسُ: القَبولُ

قال الشَّيخ زيد رَحِمَهُ اللَّهُ:

رَابِعُهَا الصِّدْقُ يَلِيهِ الْخَامسُ هُوَ اِنْقِيَادٌ وَالْقَبُولُ السَّادسُ

هذا هو الشَّرط السَّادس وهو القبول.

_ القبول بماذا عرَّفه أئمَّة الدَّعوة؟

عرَّفوه بالقبول المنافي للرَّدِّ، كما أنَّهم عرَّفوا الانقياد المنافي للتَّرك، ليتبيَّن لك أنَّهم عرَّفوا هذه الشُّروط بأضدادها؛ فالقبول هذا هو الشَّرط السَّادس من شروط «لا إله إلَّا الله».

ما دليله؟

قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ ۖ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾[61].

[61] سورة الزخرف: 23-25

هـذه الآيـة ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ﴾ بـيَّن الـرَّبُّ -تبـارك وتعالى- فيها أنَّ جميع المنذِرين من الرُّسل -لأنَّه كما قلتُ لكم النَّفي مع «مِن» الاستغراقية إذا دخلت على نكرة فإنَّها نصٌّ في العموم-، فإنَّ كلَّ نذيرٍ جاء إلى أهل القرى، جاء إلى هذه الأُمم، ماذا يقول مترفوها؟ ماذا يقول أهل الإتراف فيها الَّذين لا يُبالون بآخرتهم؟ يقولون -من المقلِّدة والمتعصِّبة والَّذين لا يرفعون رأسًا بما أمر الله به ورسوله وإنَّما ينظرون إلى المألوف وإلى ما وجدوا عليه الآباء والأجداد والأسلاف وما ورثوه عن المتقدِّمين منهم-، ماذا يقول هؤلاء المترفون؟ قالوا: ﴿إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ﴾ يعني على ملَّة وعلى دين.

لأنَّ «أُمَّة» تُطلق ويراد بها:

_ «الدِّين»، كما في هذه الآية.

_ تُطلق ويُراد بها «الزَّمان» ﴿وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ﴾[62].

_ تُطلق ويُراد بها «الإمام» الَّذي اجتمعت فيه خصال الخير، كما في قوله: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ﴾[63].

_ تُطلق على «جماعة النَّاس» ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا﴾[64].

إلى آخرها؛ أوصلها بعضهم إلى ثمانية.

---

[62] سورة يوسف: 45

[63] سورة النحل: 120

[64] سورة النحل: 36

فالأمَّة هنا المراد بها الملَّة ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾ يعني على ملَّة، على دين، نحن عندنا دين لا نحتاج إلى دينكم، ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ ۖ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ﴾ ما النَّتيجة؟ ﴿فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾[65] فهم لا يقبلونها وينتفون عنها ويردُّونها ولا يرفعون بها رأسًا ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ لماذا؟ ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ يأبون أن يقبلوا كلمة التَّوحيد وما تضمَّنته كلمةُ التَّوحيد فيردُّونها.

ومن السُّنَّة ما ثبت في الصَّحيح عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبي ﷺ أنَّه قال: «مَثَلُ ما بَعَثَنِي اللهُ به من الهُدَى والعِلْمِ، كمَثَلِ الغيثِ الكثيرِ أصاب أرضًا، فكان منها نَقِيَّةٌ، قَبِلَتِ الماءَ، فأَنْبَتَتِ الكَلأَ والعُشْبَ الكثيرَ، وكانت منها أجادِبُ، أَمْسَكَتِ الماءَ، فنفع اللهُ بها الناسَ، فشَرِبُوا وسَقَوْا وزرعوا، وأصابت منها طائفةً أخرى، إنما هي قِيعانٌ لا تُمْسِكُ ماءً ولا تُنْبِتُ كَلأً، فذلك مَثَلُ مَن فَقُهَ في دِينِ اللهِ،

[65] سورة الصافات: 35-36

ونفعه ما بعثني اللهُ به فعَلِمَ وعَلَّمَ، ومَثَلُ من لم يَرْفَعْ بذلك رأسًا، ولَم يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ»[66].

- والشَّاهد من الحديث آخره:

_ «فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ» لأَنَّه قَبِل ما جاء به الرَّسول ﷺ فعَلِم وعلَّم.

_ «ومَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ».

وهذا المثال مثال عظيم ضربه النَّبي ﷺ لهذا الدِّين.

---

[66] متفق عليه؛ واللفظ للبخاري.

الشَّرطُ السَّابِعُ: المحبةُ

ثمَّ قال الشَّيخ زيد رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَالسَّابِعُ الْحُبُّ لِمَا لَهُ حَوَتْ ... مِنَ الْمَعَانِي فَاعْمَلَن بِمَا ثَبَتْ

هنا ذكر الشَّرط السَّابع وهو «المحبَّة»، والمحبَّة يُعرِّفها الأئمَّة بأنَّها المنافية للبغض، فيقولون: الحبّ المنافي للبغض لهذه الكلمة ولما دلَّت عليه، والسُّرور بها، فتفرح بهذه الكلمة وبمن دعا إليها وبمن دلَّ إليها وبمن قالها وبمن دافع عنها؛ حبُّك لها يفرض أن تُحبَّ ما أدَّاه إليها من الوسائل.

هذه الكلمة كلمةٌ عظيمةٌ قامت بها السَّماوات والأرض ونُصبت لأجلها الموازين وفُرِّق بها بين الأقارب، فلابدَّ أن تُحبَّها وأن تستشعر محبَّتها وأن تُجلَّها غاية الإجلال، هذا الَّذي يجب أن يكون عليه العبد المسلم.

ما الدَّليل على هذه الكلمة؟ ما الدَّليل على هذا الشَّرط؟

قوله تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾[67] هذه الآية اشتملت على إثبات محبَّة المشركين لله -على الرَّاجح من قولي المفسِّرين- إلَّا أنَّ محبَّتهم لله هذه كانت مقرونة بمحبَّة غيره كما قال -جلَّ وعلا- عنهم: ﴿إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ﴾[68]، ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾[69] فيعدلون آلهتهم بمحبَّته وتعظيمه وإجلاله.

فهنا يقول الرَّبُّ -جلَّ وعلا-: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا﴾ والنِّد هو الشَّريك والنَّظير.

أَتَرْجُوهُ ولَسْتَ له بِنِدٍّ

﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾ هذه في القرآن لها معنيان:

_ من دون الله استقلالا، يعني أنَّهم يحبُّون آلهتهم دون محبَّة الله، وهذا هو وجهٌ من تفسيرها.

_ والثَّاني: أنَّهم يحبُّون آلهتهم ويُحبُّون الله إلَّا أنَّ محبَّة المؤمنين أشد لأنَّها محبَّةٌ خالصةٌ.

﴿أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ﴾ ما حالة محبَّتهم لهم؟ ﴿كَحُبِّ اللَّهِ﴾ فيشرِّكون في المحبَّة ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾.

---

[67] سورة البقرة: 165

[68] سورة الشعراء: 98-99

[69] سورة الأنعام: 1

قال: «وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾[70]».

وهذه الآية ذكرت محبَّة الله ومحبَّة المؤمنين، فلابدَّ من محبَّة الله تعالى، محبَّة رسوله ﷺ -كما سيذكر الجامع وفَّقه الله في الدَّليل من السُّنَّة-، فالمؤمنون يُحبُّون الله، ويحبون أولياء الله.

قال: «ومن السُّنَّة ما ثبت في الصَّحيح عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثَلاث مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاوَةَ الإيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا للهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكره أَنْ يُقذف فِي النَّارِ»[71].

وهذا الحديث متَّفق عليه، وقد رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما: «ثَلاث مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاوَةَ الإيمَانِ» فالإيمان له حلاوةٌ وله طعمٌ كما جاء في حديث العبَّاس بن عبدالمطَّلب رضي الله عنه أنَّ النَّبي ﷺ قال: «ذاقَ طَعْمَ الإيمَانِ، مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ ربًّا، وَبِالإسْلاَمِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا».

[70] سورة المائدة: 54
[71] متفق عليه؛ واللفظ للبخاري.

۞ الشَّرْطُ الثَّامِنُ: الْكُفْرُ بِمَا يعْبدُ مِنْ دُونِ الله ۞

ثـمَّ ختم الشَّيخ المنظومة هذه بالشَّرط الثَّامن الَّذي أضافه على ما ذكره الشَّيخ سعد بن حمد بن عتيق.

الشَّيخ عبدالرَّحمن ذكر سبعة، والشَّيخ سعد بن حمد بن عتيق -أحد أئمَّة وكبار الدَّعوة وشعرائها وأهل النَّظم فيها- زاد شرطًا ثامنًا وهو الَّذي قال فيه:

عِلْمٌ، يَقِينٌ وَإخْلَاصٌ وَصِدْقُكَ مَعْ ... مَحَبَّةٍ وَانْقِيَادٍ وَالْقَبُولِ لَهَا

وَزِيدَ ثَامِنُهَا الْكُفْرَانُ مِنْكَ بِمَا ... سِوَى الإلَهِ مِنَ الأَشْيَاءِ قَدْ أُلِهَا

نظم هذا الشَّيخ زيد رَحِمَهُ اللهُ فقال:

وَالثَّامِن الْبُغْضُ لِمَا يُعْبَدُ مِنْ ... دُونِ الْإِلَهِ فَاعْقِلَنْهَا يَا فَطِنْ

هذا هو الشَّرط الثَّامن الَّذي ختم به هذه الشُّروط وهو: وجوب البغض والبراءة لما يُعبد من دون الله -كما تقدَّم معنا في أركانها- على اختلاف أصناف المعبودات فأيُّ معبودٍ فإنَّه لابدَّ وأن يُبغض عابده.

۞ وكثيرٌ من الجهَّال والمتأثِّرين بأفكار الغرب يقولون: «عليك أن تُبغض الكفر وتُبغض الآلهة ولكن لا تُبغض هذا العابد»، «لابدَّ من احترام الآخر» أليس

الله -تبارك وتعالى- قال في كتابه الكريم عن أنبيائه -عن إبراهيم ومحمَّد- قال: ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[72]، وقال -عزَّ وجلَّ-: ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾[73] يعني عن إبراهيم ﷺ.

وقد قال -جلَّ وعلا-: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾[74]، وكذلك قال -جلَّ وعلا-: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾[75] فلابدَّ من البراء منهم، ومن بغضهم، ومن معاداتهم؛ كيف تُوالي من عادى الله؟ ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾[76] هذا إبراهيم في حق أبيه.

---

[72] سورة الأنعام: 79
[73] سورة الزخرف: 26
[74] سورة البقرة: 256
[75] سورة المجادلة: 22
[76] سورة التوبة: 114

خَاتِمَة

هذه هي الشُّروط؛ وما ذكره الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ من الرَّكنين ومن المعنى في هذه الأبيات السِّتَّة الَّتي نظمها شيخنا ووالدنا العلاَّمة زيد بن محمَّد بن هادي المدخلي ضمن منظومته الطَّويلة العظيمة الرَّائقة الَّتي اشتملت على أمور التَّوحيد والعقيدة، وقد شرحها، وهي «منظومة الفروق بين الكفر والشِّرك والنِّفاق والظُّلم والفسوق»، قد شرحها هو رَحِمَهُ اللَّهُ وشرحه مطبوعٌ.

وبهذا نكون قد انتهينا من درسنا المقرَّر في هذه الدَّورة ألا وهو: «الكلام على شروط لا إله إلَّا الله».

أسأل الله -جلَّ وعلا- أن يجعل ذلك خالصًا مُتقبَّلا لوجهه، وأن ينفع به من حضره أو سمعه، وأن يكتب في ميزان حسنات الجميع الأجر والثَّواب، وأن يجزيَ خيرًا من كان سببًا ومُعينًا على إقامة هذه الدَّورة، وأشكر المنسِّقين لها، وأشكر الحاضرين فيها، وأشكر وزارة الأوقاف في هذه المدينة -مدينة «البريقة»-، وأسأل الله -جلَّ وعلا- أن يجعلها صرحًا ومرجعًا للإسلام وأهله، وأن يُقيم فيها من يُقيم هذا العلم وهذه الكلمة؛ ونسأل الله -تبارك وتعالى- التَّوفيق والسَّداد.

الحمد لله رب العالمين